# النفوذ الأمريكي في البحر المتوسط في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر

أ. نزيهة ابوالقاسم الرجيبي
كلية الآداب بالزاوية- جامعة الزاوية

**توطئة:**

يعد البحر الأبيض المتوسط نموذجا مصغرا يمكن أن يقدم لنا قراءة عن التفاعلات الكونية، وما يعطي زخما لا متناهيا لأهمية التفاعلات التي شهدتها المنطقة المشاطئة للبحر، وهو القاعدة التاريخية والثقافية والحضارية بكل ترسباتها التاريخية، التي لازالت توفر إطارا مرجعيا لعلاقات الشعوب، وبين ثناياها بذور ذلك التطور بثنائياته المتناقضة للتنوع، والتنافر، والتصادم، والتعاون.

ويعد هذا البحر والمناطق المطلة عليه فضاء اقتصاديا بامتياز، فعبر التاريخ شكلت الحركة التجارية في هذا الفضاء الدافع الرئيس، والمحرك لتفاعل العلاقات في المنطقة مع باقي المناطق الأخرى، زد على ذلك أن العامل الاقتصادي كان المنطلق للكثير من الصدامات التي شهدتها المنطقة بداية من الفينيقيين الذين أسسوا موانئ ومدن تجارية علي سواحل البحر المتوسط على غرار صور، وقرطاج، وغيرها. ثم جاء الرومان الذين أرسوا علاقات تجارية في المنطقة، وكانت منطقة الشمال الإفريقي بمثابة مخزن روما من الحبوب، والذي أنقذ الإمبراطورية الرومانية من الكثير من الأزمات الاقتصادية، وكما شكل المتوسط منذ القدم حلقة الوصل بين منتجات

الشرق الأقصى الصين والهند، ومنتجات الجنوب من بلاد الحبشة، واليمن، وفارس .

فشكل حوض المتوسط ميدانا حيوياً للتوسع والهيمنة للقوى الكبرى في هذا المسطح المائي المهم، والذي شهد منذ زمن طويل نزاعا للنفوذ والصراعات الدولية بين القوى العظمى، ومما لاشك فيه أن أي قوة تريد الهيمنة البحرية لابد وأن تستند إلى موطئ قدم ترتكز عليه، وفي الوقت نفسه يجعلها قادرة على الوصول إلى مناطق نفوذها، وهذا ما تنبه له الأمريكيون منذ وصول سفنهم إلى هذه المنطقة .

**1- الجذور التاريخية للوجود الأمريكي في حوض البحر المتوسط :**

تعود معرفة الملاحين الأمريكيين بالبحر الأبيض المتوسط إلى بداية الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وذلك قبل استقلال الولايات المتحدة الأمريكية بما يقارب قرن ونصف، حيث وصلت مركب تنتمي إلى مستوطنة "نيو انجلند" إلى سواحل المغرب، وأسرت من طرف المغاربة سنة 1625م، أما في الربع الأخير من القرن نفسه كانت تتردد حكايات عن أمريكيين وصلوا إلى المنطقة وانقطعت صلاتهم بوطنهم الأم، وقعوا في أسر البحرية المراكشية أو الجزائرية،كما انشغل الرأي العام الأمريكي في الفترة نفسها بقضية الدكتور مارسون الذي خرج من الأراضي الأمريكية، قاصدا المغرب سنة 1678م، وانقطع أثره، كما أشارت بعض الوثائق في سنة 1683م إلى عمليات لبيع بعض الهنود الأمريكيين في مدينة طنجة[1].

وبدأ النفوذ الأمريكي في حوض البحر المتوسط أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، بحجة حماية طرق التجارة الدولية من عمليات القرصنة التي كانت تهدد السفن الأمريكية المحملة بالأفيون، وكان التجار الأمريكان ينشطون في مدن الإمبراطورية العثمانية، وخاصة أزمير حيث يشترون الأفيون وينقلونه بسفنهم عبر البحر المتوسط، وعبر رأس الرجاء الصالح باتجاه الصين، وفي هذا المجال كان هناك تنافس واضح بينهم وبين التجار الإنجليز، ومما لاشك فيه أن نجاح تلك العمليات التجارية كان يتأثر بشكل كبير بموقف حكام البلدان المغربية، (المغرب، والجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب)[2]، في حين بدأت العلاقة المباشرة بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشمال الإفريقي، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي، عندما حصلت المستعمرات البريطانية على استقلالها، وأصبحت مضطرة إلى حماية سفنها التجارية التي كانت قبل ذلك تبحر تحت أعلام بريطانية، وتتمتع بالحماية البريطانية، تلك الحماية التي اكتسبت من خلال المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع دول الشمال الإفريقي، وبعد أسبوعين فقط من إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية، سحبت بريطانيا جوازات المرور التي كانت تمنح لسفن المستوطنات السابقة لحمايتها من سفن بحارة الشمال الإفريقي[3].

ويعد ذلك عاملا من عوامل الضغط التي مارستها بريطانيا على الدولة المستقلة، بعدما تبين لها بأنها ستصبح منافساً تجارياً لها في المنطقة، وبذلك أضحت سفنها عرضة لهجمات بحارة الدول المغربية، نظراً إلى عدم وجود معاهدات مع الأمريكيين يمكن من خلالها حماية مصالحهم في حوض

المتوسط، فما كان على الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن تبحث لها عن مجال للحصول على امتيازات تجارية مشابهة لما تتمتع به الدول الأوروبية في المنطقة، خاصة وأن سفنها بدأت تتعرض للكثير من المضايقات من قبل المغاربة، فكان من البديهي أن تسعى إلى ذلك، بيد أن هذه الدولة كانت قد شهدت نمواً اقتصادياً كبيرا بعد نيل استقلالها، جعلها تبحث عن أسواق تجارية جديدة لتسويق منتجاتها، وعلى الرغم من بعد المسافة فقد بلغ ما تأتي به سفنها ما يعادل سدس منتجاتها من الفحم، وسدس ما تصدره من أسماك وأرز، ليجد أسواقاً رائجة في منطقة المتوسط، وإلى جانب هذه المنتجات نجد بضائع أمريكية أخرى أخذت تصل إلى موانى بلدان الشمال الإفريقي كالعنب، والبصل، وشمع النحل، والأخشاب، فوصلت قيمة صادراتها في سنة 1779م إلى707.000دولار أمريكيا، وتظهر بعض الإحصائيات أن المستوطنات الأمريكية استوردت سنة 1779م بعض السلع مثل الزيتون، والملح، والجلود بقيمة 228.682 دولارا، فارتفع عدد السفن الأمريكية العاملة بتلك التجارة من 80 إلى 100 سفينة تجوب البحر المتوسط طولاً وعرضاً(4).

دفع سحب بريطانيا حمايتها للسفن الأمريكية بالكونغرس الأمريكي إلى البحث عن وسيلة يحمي بها تلك السفن، وجعلها في مأمن من خطر القراصنة، فكانت المحاولة الأولى وهي الطلب الذي تقدمت به الولايات المتحدة إلى فرنسا حليفتها ضد بريطانيا من أجل ضمان حماية الأمتعة والأشخاص الأمريكان من بحارة بلدان الشمال الإفريقي، وذلك على شكل بند

تم إدراجه ضمن الاتفاقية الأمريكية الفرنسية، وكانت المحاولات الأولى للاتصال بالدول الأوروبية في الثامن عشر من شهر يوليو 1776م، عندما أرسل "بنجامين فرانكلاين – Benjamin Franklin" إلى فرنسا، و"جون جي– John Jay" إلى أسبانيا، و"جون آدمس – John adams" إلى هولندا، ومبعوثين آخرين إلى بروسيا، وروسيا، والولايات المتحدة تحاول إيجاد وسيلة تسمح لها بربط علاقات مع دول الشمال الإفريقي، خاصة بعد التصريح الذي أولى به السفير الليبي عبد الرحمن بدير* لـــــ جون آدمز عندما التقى به في صيف 1776م، بلندن حيث ذكر له : ( بأن طرابلس، وتونس، والجزائر ومراكش، وهي القوى التي تحكم البحر المتوسط وأن هذه القوى لن تسمح لأي أمة أن تبحر في تلك المياه ما لم توقع معاهدات سلام معها)(5)، وهذا التصريح دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى التفكير الجدي في توقيع اتفاقيات مع هذه البلدان، إلا أنها لم تسلك الطريق المباشر للوصول إلى هذا الهدف، بل التجأت إلى الوساطة الأوروبية، فطلبت من فرنسا في الاتفاقية المعقودة سنة 1778م إدخال شرط تتعهد فيه بحماية المواطنين والبضائع الأمريكية من أخطار القراصنة، وقد وعدتها فرنسا بذلك وجاء في أحد شروط الاتفاقية أن ملك فرنسا سيستعمل نواياه الطيبة من أجل إقامة علاقة صداقة بين بلدان الشمال الإفريقي وحلفائه الأمريكان، وهو تعهد غامض يشعرنا في الحين بأن فرنسا لم تكن مستعدة لحماية السفن الأمريكية في حوض المتوسط، وتأكد ذلك عندما طلب المبعوثون الأمريكيون بعد ستة أشهر من توقيع الاتفاقية من الفرنسيين حماية بعض السفن الأمريكية المتجهة

إلى الموانئ الإيطالية من هجمات البحارة المغاربة، فكان الجواب بأن فرنسا لا يمكنها أن تتدخل لحماية السفن الأمريكية في المتوسط، وأن ما تستطيع فعله هو تقديم مساندتها لحلفائها الأمريكيين على التفاوض من أجل اتفاقيات مع بلدان الشمال الإفريقي(6).

وكنتيجة لهذا التصريح الذي صرح به وزير الخارجية الفرنسي دي فيرجن "De Vergine" طلب مبعوثو الولايات المتحدة الموجودون بفرنسا آنذاك من الكونغرس الأمريكي السماح لهم بالتفاوض المباشر مع تلك البلدان من أجل توقيع اتفاقيات معها، فكلف الكونغرس إحدى اللجان للقيام بتلك المهمة لكنها لم تقم بأي خطوة تذكر في هذه المرحلة(7).

2 – **توقيع معاهدات مع دول الشمال الإفريقي:**

**أ- مع المغرب:**

جاءت مبادرة إقامة علاقات دبلوماسية والرغبة في توقيع معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية من جانب السلطان المغربي "مولاي محمد بن عبد الله"*، ذلك بأن أعرب عن رغبته في إقامة علاقات ودية مع الجمهورية الجديدة، وكان ذلك في 20فبراير 1778م، ذلك بأن صرح العاهل المغربي للتجار المسيحيين وقناصل الدول الأوروبية بطنجة وسلا والصويرة، بأنه ابتداء من هذا التاريخ قد سمح لكل السفن الحاملة للعلم الأمريكي الدخول بحرية إلى المواني المغربية للتزود بما تحتاجه، وأن رعاياه لن يتعرضوا للسفن الأمريكية، وأنها ستحظى بالاهتمام والتقدير نفسه الذي تحظى به الأمم الأخرى التي هي في سلام معه(8)، غير أن الولايات المتحدة لم تستجب بما

ينبغي وبالطريقة المرغوب فيها للمساعي الطيبة التي أبداها السلطان المغربي الذي انتظر أن تبادله الجمهورية الجديدة ذات الرغبة والاهتمام، وإثر ذلك وبفترة وجيزة تلقى الكونغرس عن طريق مبعوث الولايات المتحدة الأمريكية بفرنسا رسالة من تاجر فرنسي يدعى "استفان دوبرت كالي – Stephane d'Audibrt Caille"، وهو تاجر فرنسي مقيم بمدينة سلا المغربية، أشار فيها إلى أن السلطان يرغب في عقد معاهدة صلح مع الولايات المتحدة، إضافة إلى استغرابه عدم استجابة الأمريكيين لعرضه، وقد أجاب الكونغرس هذه المرة برسالة وجهها إلى "فرانكلين– Benjamin Franklin" أكد فيها الرغبة الجدية في تنمية علاقات مخلصة ووطيدة للسلم والصداقة بعقد معاهدة مع المغرب الأقصى، ولكن وللمرة الثانية لم يقم الكونغرس بأي مبادرة تجاه المغرب على الرغم من تجدد وتعدد المحاولات من الجانب المغربي، ويعود تردد الكونغرس في اتخاذ أي خطوة إيجابية للاتصال بالمغرب لأسباب عدة والتي منها بعد المسافة وعدم معرفة الأمريكيين بأوضاع هذه المنطقة، زد على ذلك الطريقة التقليدية في التفاوض والتي اعتادت عليها بلدان الشمال الإفريقي، ومن جانب آخر بعض الشكليات الأمريكية كعدم السماح لغير المواطنين الأمريكيين بالتفاوض بشأن قضايا الولايات المتحدة الأمريكية، والقيود التي فرضها الكونغرس على ممثلي الدولة من حيث المبالغ التي رصدت لإتمام الاتفاقيات أو التأخر في إصدار الموافقات، ولا يمكن إغفال أن الولايات المتحدة في تلك الفترة كانت لا تزال في طور التأسيس وبناء مؤسساتها؛ فكان ساستها يرون ضرورة البحث عن حليف يحميهم في البحر

المتوسط عوضاً عن الحماية البريطانية، كما حدث مع فرنسا والتي رفضت تحمل تلك المسؤولية بلباقة، فأدرك الكونغرس أنه من الضروري اتخاذ إجراءات استثنائية وعقد معاهدات صداقة وتجارة مع دول الشمال الإفريقي، واشتمل القرار الذي تم إصداره في 7 مارس 1784م على تعبير بتقدير الموقف الودي الذي وقفه السلطان المغربي تجاه الدولة الأمريكية، كما أعرب عن الأسف لأنه يرى أن حالة الحرب قد أخرت دخول البلدين، في مفاوضات وأخيراً نص القرار على تصريح لمجموعة من المفاوضين كا" توماس جيفرسون–Thomas Jefferson" و"جون آدمز–John adams"، ليقوموا بعقد المعاهدات المقترحة، ولكن السلطان المغربي تعب مما كان يعده قلة اكتراث بمبادراته السلمية، وبناء على ذلك أمر بالاستيلاء على سفينة أمريكية تدعى "بيتزي– Betsy" حجزها في طنجة سنة 1785م، وأعلن أنه لم يسترق بحارة السفينة كما أنه لم يستول على السفينة نفسها وشحنتها فعلاً، وصرح بأنه يحتفظ بها كرهينة ريثما يتم التوصل إلى عقد معاهدة(9).

وفعلاً تم توقيع هذه المعاهدة والتي سميت بمعاهدة السلم والصداقة بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وكما عرفت بمعاهدة مراكش في 18يوليو1786م، كان "توماس باركلي– Thomas Barcly" ممثلاً عن الجانب الأمريكي فيما كان "الطاهر فنيش" ممثلاً للسلطان، لقد كانت المعاهدة ذات مضمون متحرر فقد اتفق الطرفان على ألا يزود أحدهما بالمؤن والعتاد سفن بلد في حرب مع الطرف الآخر، وكذلك تقع المبادلة بالمثل فيما يتعلق بالمتابعة في أسر الرعايا والاستيلاء على الممتلكات في حالة ما إذا استولى

أحد الطرفين المتعاقدين على سفينة لطرف ثالث، وتقضي نصوص المعاهدة بأن تحمل سفن الطرفين إذناً للمرور، والسفن الأمريكية التي ترسو عند الشواطئ المغربية بحكم الضرورة تسبغ عليها الحماية المغربية والسفن الحربية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية يعفيها الموظفون المغاربة من التفتيش، والعلاقات التجارية بين البلدين تقوم على أساس البلد الأكثر رعاية، وفي حالة وقع حرب بين الطرفين يمتنع كلا الطرفين عن جعل أسرى بعضهم البعض عبيداً، ويجري تبادل الأسرى بعد مرور سنة واحدة من وقوعهم في الأسر، ويكون للقنصل الحق لفصل النزاعات التي تقوم بين المواطنين الأمريكيين المقيمين بالمغرب الأقصى، وأخيراً وفي حالة قيام الحرب بين الطرفين يسمح لرعايا البلدين بمهلة تسعة أشهر لجمع ممتلكاتهم وليرحلوا بأمتعتهم[10].

وهذه المعاهدة ملزمة للطرفين المتعاقدين لمدة خمسين سنة*، وتعد هذه المعاهدة الأساس الذي ستبنى عليه الولايات المتحدة وجودها في حوض المتوسط، كما أنها ستشكل القاعدة القانونية لتوجهات السياسة الأمريكية في هذه المنطقة، فالأمريكان وقعوا المعاهدة لحماية أنفسهم من هجمات البحارة المغاربة، ولتطوير تجارتهم، وإيجاد منافذ جديدة لها. كما عد "جيفرسون- Jeferson" هذه المعاهدة أهم جميع المعاهدات التي عقدتها بلاده مع الدول المغربية فيما بعد، فحظيت المعاهدة بارتياح في الكونغرس الذي صدق عليها في 18 يوليو 1787م[11].

وبهذه المعاهدة تكون المغرب أول دولة في الشمال الإفريقي قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتوقيع معاهدة صداقة معها، وفي 23 يوليو 1786م طلب الكونغرس إلى السلطان "محمد بن عبد الله" أن يساعد الولايات المتحدة في الوصول إلى عقد معاهدات مماثلة مع بقية الدول المغربية، وقد جاء في هذا الطلب: ( فلو كانت وساطة جلالتكم وسيلة لإقامة علاقات سليمة مع بقية أعدائنا فإن ذلك سيكون حدثاً مجيداً يزيد من عظمة عهدكم، وسيزداد أسمكم عزة لدى المواطنين، وعلماً تزداد شهرته في التاريخ)[12]، وقد وعد السلطان أن يقوم بتلك الوساطة.

**ب- اتفاقية مع الجزائر:**

انطلاقاً من كون الجزائر كانت تعد من أقوى دول البحر المتوسط بالنظر إلى قوتها البحرية، فقد كان أمر عقد معاهدة صلح معها يعد الخطوة الأولى نحو السلام في ذلك البحر، خاصة عندما استولت بحارتها على سفينتين أمريكيتين هما "Dauphin" و"Maria" سنة 1785م، وعلى متنها واحد وعشرين أمريكياً[13]، فكان الأسرى مرة أخرى هم السبب في فتح قنوات الاتصال بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإيالات العثمانية التي بعثت "جون لامب- John Lamb" كأول مفاوض لها من أجل تحرير الأسرى والسعي إلى توقيع اتفاقية مع الجزائر، إلا أن اشتراط داي الجزائر مبالغ باهظة لافتدائهم كانت سبباً في اضطراب المفاوضات وتأجيل توقيع الصلح بين البلدين، فعاد "جون لامب" إلى بلاده تاركاً وراءه وعدًا للأسرى بالعودة بعد أربعة أشهر، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، ذلك بأن الحكومة الفيدرالية

مازالت في طور التأسيس، وهذا ما أثر بالسلب على اتخاذ قرار يتعلق بالأمور الخارجية للدولة خلال تلك الفترة، ودامت المفاوضات مع الجزائر حوالي أحد عشر عاماً، فما كان على الأمريكيين إلا الانتظار إلى حين وضع أول دستور لبلدهم وتأسيس أول حكومة مركزية، لتوفير الأدوات والآليات لاتخاذ الخطوات اللازمة فيما يتعلق بسياستها مع بلدان المتوسط، خاصة بعدما أصبحت أسر الأسرى تمارس ضغوطاً على الحكومة الفيدرالية[14] مما دفع بالرئيس الأمريكي جورج واشنطن إلى تخصيص الأموال الكافية لافتداء الأسرى، وليوقع اتفاقية مع الجزائر، وعين لهذه المهمة "باول جونس– Paul Johns" والذي توفي في باريس قبل التحاقه بالجزائر، فكلف بدلاً عنه "توماس باركلي– Thomas Barkly" والذي توفي أيضاً فعوض بـــ" ديفيد هومفريس– David Humphrys" ممثل الولايات المتحدة بالبرتغال، والذي علم قبل رحيله بالاتفاق الذي وقعته الجزائر مع البرتغال بوساطة بريطانية، حيث سمح بموجبه لبحارتها بدخول المحيط الأطلسي والاستيلاء على السفن الأمريكية التي بلغ عددها أحد عشر سفينة ومئة وتسعة عشر أسيراً،كما وصل إلى مسامع المفاوض الأمريكي قرار "حسن داي" عدم استقبال أي مبعوث أمريكي، وهو ما جعله يعين شخصاً آخر بدلاً عنه للقيام بهذه المهمة وهو جوزيف دونلدسون "Joseph Donaldson"، وفي تلك الأثناء كان الرئيس الأمريكي "جورج واشنطن" في خطابه السنوي أمام الكونغرس يؤكد على ضرورة تحرير الأسرى المحتجزين في الجزائر، ويأمر بإنشاء

أسطول*بحري لحماية التجارة الأمريكية، عارضاً بالمناسبة مشروع اتفاق مفصل مع الجزائر في 8 مايو سنة 1792م[15].

وفي الجانب الآخر وبعد تشاور وصل المفاوض الأمريكي دونلد سون "Donald son" برفقة مواطن فرنسي هو جويل بارلو "Joel Barlow" إلى الجزائر في 3 من شهر سبتمبر وتوصلا إلى عقد اتفاق مع الجزائر مقابل دفع 642.500 دولار، وتم التوقيع على المعاهدة بتاريخ 5 سبتمبر من العام نفسه، وعرض داي الجزائر وساطته لعقد اتفاقية مماثلة مع طرابلس وتونس[16].

واحتوت هذه المعاهدة والتي كتبت باللغة التركية على 22 بنداً، تتعلق بشروط تنظيم التعامل التجاري بين البلدين، وبأمور جوازات السفر والعلاقات الدولية في حالة السلم والحرب، كما تناولت المعاهدة قضايا حرية العبادة والتنقل، كما تم التأكيد في البند 22 من المعاهدة على حل الخلافات في حال نشوبها بطريقة سلمية وعدم إعلان الحرب إلا في حالة استنفاذ كل الوسائل السلمية ووقع على المعاهدة من الجانب الجزائري الداي " حسن باشا" ومن الجانب الأمريكي دونا لد سون "Donald Son"، ووافق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي في يوم 6 مارس لسنة 1796م، فأصبحت ملزمة للطرفين[17].

**ج- اتفاقية مع طرابلس الغرب:**

لم يكن الحصول على معاهدة سلم مع إيالة طرابلس الغرب بالأمر السهل بل تطلب كما هو الحال مع إيالة الجزائر مفاوضات مضنية ومرتفعة

التكاليف، وقد توسط داي الجزائر إذ بعث لـــــ "يوسف باشا القرمانلي" يعرض عليه قبول عقد اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية مقابل 40.000 دولار، وقد تم إرسال المفاوض "أوبراين- Obrien" للقيام بهذه المهمة، حيث وصل إلى عقد اتفاقية مع الباشا مقابل 12.000دولار والباقي ومقداره 27.000 دولار تسلمها "يوسف باشا" على شكل هدايا [18].

ووقعت اتفاقية بين الطرفين في 4 نوفمبر 1796م في طرابلس، ديباجتها كتبت باللغة العربية، وتألفت من اثني عشر بندا شابهت في أغلبها بنود الاتفاقية الجزائرية والمغربية، فتضمنت قضايا السلم والصداقة، والتعهد بعدم حجز البضائع من الجانبين في حالة قيام حرب بينهما، كما تضمنت مسألة الجوازات للبحارة من كلا البلدين وتقديم يد المساعدة لبحارة الطرفين في حالة جنوح سفنهم، وكما نصت على شرط التزود بالمؤن بثمن السوق، والتعهد بعدم السماح بمهاجمة سفن البلدين من قلاعهما . كما نص البند التاسع على حرية التجارة وتعيين القناصل، زد على ذلك التمتع بشرط الدولة ذات الامتياز، وعدم عد الدين وسيلة من وسائل التمييز بين الطرفين[19].

إضافة إلى تعهد الطرفين بحل مشاكل قد تنشأ بالطرق السلمية، كما نصت المادة 12 على أن داي الجزائر هو الذي يضمن استمرار المعاهدة، ويقدم المساعدة لتسوية النزاعات التي قد تقدم بين الطرفين .وألحق بالاتفاقية ملحقاً تعلق بالهدايا التي تسلمها القرمانلي من نقود وبنادق وأخشاب، وصواري للسفن، وغيرها[20].

وكان القنصل "أوبراين" مندوباً عن حكومة الولايات المتحدة، والذي سلم للباشا الأموال والهدايا، وبعدها حمل المعاهدة وعاد إلى الجزائر حيث وقع عليها "حسان باشا" داي الجزائر في 3 يناير سنة 1797م، كضامن وشاهد على الاتفاق بين الطرفين، وصادق عليها "هامفري" في 10 يونيو من السنة نفسها، وتم التصديق عليها من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي[21].

**د- الاتفاقية الأمريكية التونسية:**

تعد اتفاقية السلم والصداقة التي وقعتها تونس مع الولايات المتحدة في 28 أغسطس 1797م وصادق عليها الكونغرس الأمريكي في 21 فبراير سنة 1798م، بداية لعلاقة رسمية مباشرة بين البلدين، تلك الاتفاقية التي احتوت ثلاثة وعشرين بندا كتب أصلها باللغة التركية، تحفظ الأمريكان بشأن ثلاثة منها، تناولت الاتفاقية مسألة السلم بين الجانبين، وخاصة ما يتعلق بحماية السفن الأمريكية في البحر المتوسط، وعدم التعرض لها، والرسوم المفروضة على البضائع وحقوق التجار، وحرمة ممتلكات وشخص القنصل الأمريكي، أما البنود المتحفظ بشأنها والتي تم تعديلها، كان ما يتعلق بتقديم برميل بارود عن كل طلقة ترحيب بالقنصل أو بالمبعوث الأمريكي، وتم قبوله من طرف الأمريكيين في حالة طلبه من جانبهم[22].

والبند المتعلق باستعمال السفن الأمريكية في قضاء أغراض وحاجيات الباي قد تمت الموافقة عليه مقابل تعويض، والبند المتعلق بالرسوم الجمركية، إذ تم الاتفاق على تحديد نسبة موحدة لها، وختمت هذه الاتفاقية بطابع الباي "حمودة باشا" وبتوقيع "إبراهيم داي" والآغا "سليمان"، في حين وقع عليها من

الجانب الأمريكي " James Lear Cathcartm William Eaton Humprys"، وجاءت الاتفاقية كما هو ملاحظ مشابهة لبنود المعاهدات السابقة، والتي وقعتها الولايات المتحدة الأمريكية مع باقي دول الشمال الإفريقي[23].

والجدير بالملاحظة أن بلدان الشمال الإفريقي بدأت تشعر بضعفها أمام الدول الأجنبية، كما أنها بدأت تشعر بقرب انهيار مؤسسة القرصنة التي كانت تعد المصدر الأول لمداخيل الخزينة في هذه الدول، هذه المؤسسة التي ستوجه لها الولايات المتحدة الأمريكية الضربات الأولى التي قصمت ظهرها، لتجهز عليها فيما بعد، بتعاون مع الدول الأوروبية، وذلك قبل انتهاء الربع الأول من القرن التاسع عشر، الفضل الأكبر في إنهائها يعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا استطاعت الولايات المتحدة أن تجد لها موطئ قدم آمن في البحر المتوسط، وأن توفر لسفنها وتجارتها الوضع الملائم لتمارس نشاطها من دون أي منغصات، ووفق تلك المعاهدات التي ألزمت حكام هذه الدول، والتي زادت من أمن وسلامة التجارة الأمريكية، وقد استفادت منها الأخيرة على الرغم مما تكبدته من أموال طائلة دفعتها لحكام دول الشمال الإفريقي.

**2- أسس وأبعاد السياسة العسكرية الأمريكية تجاه البلدان المغربية :**

كان توماس جيفرسون Thomas Jefferson أول رئيس الولايات المتحدة، نادى باستعمال القوة ضد بلدان الشمال الإفريقي، إذ صرح باستمرار بأنه يفضل استعمال القوة بدل أداء الأتاوة، ولأجل ذلك طالب باستمرار ببناء

أسطول بحري لحماية التجارة الأمريكية بخلاف أدمز- Adams، الذي كان يميل إلى استعمال الدبلوماسية لحل الخلافات بدل الحرب، ومن الواضح أن هذه الرغبة قد زادت لدى المسئولين الأمريكيين بعد فشل المفاوضات مع الجزائريين، وتعمقت أكثر مع التهديدات التي رافقت توقيع الهدنة مع تونس وليبيا أثناء المفاوضات التي كانت جارية لتجديد اتفاقيات سابقة، كما تعمق هذا الشعور من جراء المخاوف التي أصبحت تراود الأمريكيين على تجارتهم في المتوسط، وفي غيره من المناطق الأخرى باندلاع الحروب الأوروبية، وخاصة بين فرنسا وبريطانيا، اللتين سنتا نظام الحصارات الذي أدى إلى منع حتى السفن المحايدة ومن بينها السفن الأمريكية من دخول المواني الأوروبية وموانى الدول التابعة لها، أو مواني خصومها كمنع الانجليز الأمريكيين من الوصول إلى مواني جزر الأنتيل التابعة للفرنسيين[24]، كما أصبح من المستحيل عليها التوقف في المواني الانجليزية خوفاً من التعرض للحجز من قبل الفرنسيين، وهو ما جعل الأمريكيين يدخلون في صراع مكشوف مع بلدان الشمال الإفريقي في حوض المتوسط، وهي وضعية استمرت إلى أن وقعت الحكومة الأمريكية اتفاقية مع فرنسا سنة 1801م، الأمر الذي جعل الصراع يصبح محصوراً بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان الشمال الإفريقي[25].

ويبدو أن الحكومة الأمريكية في نهاية الأمر تبنت وجهة نظر ايتون- Eton قنصلاً في تونس، والذي نادى باستعمال القوة ضد بلدان الشمال الإفريقي، لفرض الوجود الأمريكي في حوض المتوسط، فعرف عن القنصل

الأمريكي استنكاره لسياسة بلده ووصفها بالتذلل لدولة متبربرة لا تساوي أساطيلها جميعاً صفين من صفوف الأسطول الحربي الأمريكي.

وكان هذا القنصل متحمساً لاستعمال القوة، بل ولغزو بلدان الشمال الإفريقي، وقد رسم لتحقيق ذلك خطة تكون بدايتها في تونس، كما عمل على تحضير تقرير عسكري عن القوة العسكرية لتونس، والجزائر، وأورد تقارير عن جنود الإيالتين واصفاً ضعف تدريبهم، وقلة عتادهم، وأرفق التقرير بخرائط مفصلة أرسلها إلى الخارجية الأمريكية.

كما وصف إيثون الحالة في شمال إفريقيا بأنها في ظروف سيئة للغاية، ملاحظاً أنه لمجهود بسيط يمكن إنهاء تعنت حكام المنطقة، مدعياً بأن الوضع الحالي ليس ناتجاً عن حذاقة المسلمين بقدر ما هو ناتج عن جبن المسيحيين، وكما يحث حكومة بلده على تأديب القراصنة، وينتظر باستمرار استجابة إدارة حكومة بلده، حيث كتب في أحد تقاريره بأنه يريد أن يجعل من الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً يحتذى به في طريقة التعامل مع قراصنة الشمال الإفريقي على حد قوله[26].

كان الشعور العام الذي عكسته رسائل وتقارير قناصل الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن التاسع عشر هو ترقبهم وانتظارهم حدوث الأسوأ للتجارة وللسفن الأمريكية ما عدا في حالة تحرك حكومتهم بحزم، أما هذه الحكومة من جهتها وعلى الرغم من بطء الاتصالات وحداثة عهدها في المتوسط، فقد تجمعت لديها معطيات ومعلومات مهمة تتعلق بالوضع في الشمال الإفريقي، وكلها أخبار تشير إلى تشاؤم القناصل، وإجماعهم على

ضرورة استعراض القوة الأمريكية لإرهاب هذه الدول، وفي الوقت نفسه لحماية سفنها، ويبدو أن الحكومة الأمريكية لم تستجب بسرعة لدعوات قناصلها باستعمال القوة ضد بلدان المغرب، فمن خلال الاطلاع على واقع الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك ندرك أسباب عدم استجابتها لإلحاحهم المستمر، والمتمثلة في انشغال الولايات المتحدة بصراعها مع فرنسا، وتركيز جهدها على هذا الجانب، ومحاولة الوصول إلى حل سلمي معها، تستطيع عن طريقه عزلها عن بريطانيا، لتتفرغ بعد ذلك لبلدان الشمال الإفريقي[27].

إضافة إلى بعد المسافة وتأخر وصول الرسائل والأخبار،إلى درجة أن خبر موت الرئيس "جورج واشنطن" وولاية رئيس جديد لم يصل إلى شمال إفريقيا إلا بعد مرور شهرين على حدوثه، فضلاً عن ذلك انشغال الأمريكيين بنقل عاصمتهم من فيلادلفيا إلى واشنطن.[28]

ومن الواضح أن ضغط الواقع الدولي والصراعات الأوروبية في بداية القرن التاسع عشر، إضافة إلى ضغط أصحاب المصالح من (جماعة إيسكس)*، حيث طالب هؤلاء بالرد على مطالبة حكام دول الشمال الإفريقي للحصول على المزيد من المدفوعات، الأمر دفع بالساسة الأمريكان إلى اللجوء إلى سياسة القوة للدفاع عن مصالحهم والرد على تلك الاستفزازات[29]، كما ساعد ضعف المؤسسة البحرية المغربية، أمام زيادة حجم القوة الأوربية على التغيير في الإستراتيجية الأمريكية.

**3- توتر العلاقات الأمريكية مع بلدان الشمال الإفريقي.**

لم تحظ الولايات المتحدة الأمريكية بالمعاملة التي حظيت بها كل من فرنسا وانجلترا من قبل بلدان الشمال الإفريقي، ذلك لاتباعها أسلوب المخادعة والتحايل، إضافة إلى عدم التزامها بالوعود التي قطعتها على نفسها تجاه من تلتزم معهم بعهود ومواثيق[30]، ففي خريف سنة 1800م تم حجز السفينة الأمريكية Catherine من طرف البحارة الليبيين لأشهر عدة نظراً إلى تأخر الولايات المتحدة عن تقديم ما تعهدت به للبلدان المغربية، بموجب المعاهدات السابقة، وبعد إطلاقها أمر يوسف القرمانلي القنصل الأمريكي كاتكارت – Cathcart إبلاغ حكومة بلده بدفع ما عليها من إتاوات، مؤكداً له بأنه في حالة عدم الدفع مع تعديل شروط الاتفاقية بحيث لا يبقى فيها أي تمييز بينه وبين حكام الإيالات الأخرى، الجزائر وتونس، فإنه سيعلن الحرب على السفن الأمريكية[31].

في الوقت نفسه الذي ساءت فيه العلاقات الأمريكية الليبية كانت العلاقات الأمريكية التونسية تعرف بدورها المشاكل نفسها، ذلك بأن صرح باي تونس بأنه سيمهل الولايات المتحدة الأمريكية إلى بداية السنة الموالية بقبول شروطه وإلا أعلن الحرب على سفنها[32].

أما مع الجزائر فقد ظهرت صعوبات لكن بشكل آخر، فالداي وبعد وصول السفينة جورج واشنطن- George Washinton حاملة بعض الهدايا أمر قبطانها برفع العلم على السفينة وحمل السفير الجزائري وهدايا إلى الأستانة، وقد رضخ القبطان لذلك الأمر خوفاً من الحرب[33]، وهو ما جعل باي تونس

بدوره يطلب من قائد السفينة الأمريكية أنا ماريا- Anna Maria حمل بعض السلع إلى مرسيليا، إلا أن احتجاج القنصل على بنود المعاهدة الأمريكية التونسية، التي لا تنص على مثل هذه الأعمال جعل الباي يوافق على دفع 4000 دولار، في حين دفع القنصل الأمريكي الفرق لأصحاب السفينة، ويقدر بـــــ 1800 دولار، وهو ما يؤكد بأن سنة 1800م لم تكن تبشر بالسلم بين الولايات المحتدة الأمريكية والإيالات المغربية(34).

كانت الأشهر الأربعة الأولى من سنة 1801م فترة توتر وترقب من الطرفين، فالولايات المتحدة الأمريكية لم تف حتى ذلك التاريخ بما التزمت به وسفنها التجارية بدأت تجوب البحر المتوسط، وبحارة الإيالات المغربية يتأهبون للنزول إلى البحر باحثين عن أسرى وغنائم، هذا الوضع جعل القناصل يتبادلون التهم فيما بينهم كل منهم كان يحاول تحميل مسؤولية تدهور الأوضاع للآخر، خاصة القنصل الأمريكي بطرابلس كاتكارت- Catncart والقنصل بتونس ايتون- Eaton اللذان كانا يتهمان القنصل العام بالجزائر O'Brienاوبراين، بأنه واقع تحت نفوذ السماسرة اليهود الذين قال عنهم ايتون-Eaton بأنهم السبب في كل المآسي التي تعاني منها المنطقة بسبب مناوراتهم، هذه الصراعات بين القناصل والمناورات الأوروبية خيمت بظلالها على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة، وهيأت الأجواء لتفجير الوضع وإشعال فتيل الحرب بينها وبين بلدان شمال إفريقيا، فقد كانت البداية مع طرابلس، ثم مع تونس، فالمغرب، فقد استدعى الباي التونسي القنصل الأمريكي وأمره بالكتابة إلى رئيسه لإرسال 24 مدفعاً، كما نبهه بأنه

في حالة تزويد الجزائر بالمدافع فعليه أيضاً تزويد تونس بها، وأبلغ إيتون- Eaton حكومته بأنه عليها الرضوخ أو إعلان الحرب، مفضلاً إرسال سفن حربية مجهزة بالمدافع لمهاجمة تونس بدل تسليمها إليها[35].

وهدد المغرب من جهته بإعلان الحرب على السفن الأمريكية في حال عدم إطلاق السفينة المسعودة التي أسرها الأمريكيين معتقدين أنها سفينة ليبية في حين أنها من سفن المولى "سليمان"، وهو ما جعل القنصل الأمريكي بالمغرب Simpson يطلب من موريس- Morris قائد السفينة أمريكية إطلاقها تجنبا لتعقيد الموقف، وتحاشياً لقيام حرب مع المغرب[36].

- **التدخل العسكري الأمريكي. (الحرب الطرابلسية):**

في بداية شهر يوليو أضحت الحرب بين الطرفين وشيكة، على الرغم من وساطة داي الجزائر الذي أرسل ثلاث رسائل للتوسط بين الليبيين والأمريكان، إلا أن الجواب من "يوسف باشا" كان المطالبة بالإتاوة، وعندما تأكد بأن مطلبه لن يتحقق أمر بتنكيس العلم الأمريكي من على القنصلية الأمريكية، في طرابلس، في محرم 1216هـ/ 14 مايو 1801م[37]، وهو ما يعني إعلان الحرب رسمياً على الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه الحرب ناتجة عن تراكم عوامل وأسباب عدة أولها :أن الشخص الذي كلف برعاية المصالح الأمريكية قبل وصول القنصل الأمريكي والذي يدعى .Dr Donogh،Bryan. MC براين دونوقا إنجليزي الأصل لم يفعل شيئاً من أجل تفادي تدهور الوضع وقيام الحرب، بل اكتفى بتسجيل العديد من الإتاوات على الأمريكيين، وثانيها شعور باشا طرابلس نتيجة لدعاية بريطانية

بأنه عومل بنوع من الدونية لكون داي الجزائر وباي تونس تسلما من الهدايا أكثر ما تسلمه هو[38]، والأمر الثالث الدعاية التي نشرها القنصل الأمريكي بتونس من كون يوسف القرمانلي ليس إلا أحد أتباع داي الجزائر، وهو ما أجج عواطف الغضب لدى الباشا، فاستغل تأخر الأمريكيين عن الاستجابة لمطالبه ليعلن الحرب عليهم ويشرع في مطاردة السفن الأمريكية وأسرها خاصة وأن موسم الخريف هو موسم صيد السفن بالنسبة إلى البحارة المغاربة[39].

أمسى واضحاً لدى ساسة الولايات المتحدة الأمريكية أن ظهور السفن العسكرية في هذا الوقت أجدى من ظهور السفن التجارية لأنه سيكون عاملاً مساعداً على ضمان المفاوضات، ووسيلة للضغط على الإيالات المغربية من أجل قبول بنود المعاهدات الموقعة، أو في حال تعديلها لتكون بما يناسب المصالح الأمريكية، وهو العمل الذي عملت على تنفيذه، إذ فور توقيع معاهدة سلام مع فرنسا بعثت الولايات المتحدة بأربع سفن إلى البحر المتوسط تحت قيادة Richard Dale ريتشارد ديل، وكانت التعليمات التي وجهت إلى قائد السفينة هي تقديم الإتاوات إذا أظهرت الإيالات المغربية مشاعر الود والسلم للأمريكيين، أما في حالة إظهار العكس فعليه استعمال القوة والإمكانيات المتوفرة لديه لمعاقبتها، وفي الوقت نفسه وجهت تعليمات إلى القناصل الأمريكان في شمال إفريقيا عن كيفية التعاون مع ديل- Dale، كما وجهت رسائل إلى حكام الإيالات تعلمهم بهدف الحملة[40].

ويتضح أن الولايات المتحدة الأمريكية جنحت إلى تقديم الإتاوة إلى حين تهيئ نفسها لمواجهة الإيالات المغربية بالقوة التي ستصبح هي طريقة تعاملها مع حكام شمال إفريقيا ابتداء من سنة 1801م، واتخذ هذا القرار بعد الكثير من المشاورات بين الحكومة والكونغرس الأمريكي، خاصة وأن البعثات السلمية لم تكن ذات فائدة بل كانت مهينة في أكثرها للأمريكيين.

وصل القائد الأمريكي ديل- Dale في 25 يوليو 1801م إلى ميناء طرابلس حيث استفسر عن سبب إعلان يوسف باشا للحرب، عن طريق القنصل الدانمركي نيسن- Nissen، إلا أن الباشا لم يعط تفسيراً مقنعاً، وهو ما جعل قائد الحملة يعلن حصاره لميناء طرابلس، هذا الحصار الذي كان من المنتظر أن يساهم في حل المشكل ويؤدي بحسب اعتقاد الأمريكيين إلى تخويف الليبيين ورضوخ الباشا لمطالبهم، ولكن الذي حدث هو العكس فزاد الحصار في تعقيد المسألة لكونه لم يبق مشكلاً ليبياً أمريكياً بل دخلت فيه أطراف أوروبية، فالانجليز احتجوا على الحصار باعتبار أن حامية مالطا تعتمد على ميناء طرابلس في التزود بما تحتاجه، وهو احتجاج أثر على معنويات الأمريكيين، وفي سير عملية الحصار لكونهم كانوا في حاجة لحامية جبل طارق للتزود بالماء والغذاء خاصة في حالة قيام حرب حقيقية بينهم وبين إيالة طرابلس، وهو ما جعل القائد الأمريكي يضطر إلى رفع الحصار والتحرك بمحاذاة السواحل الإيطالية للتزود بما يحتاجه في انتظار تعليمات جديدة من حكومته[41].

لقد فشل الحصار الأول لطرابلس نتيجة لهذه الأسباب، إضافة إلى أسباب أخرى كإبحار السفن الليبية تحت أعلام بريطانية وفرنسية، لتحصل على احتياجاتها، كما أن الفرنسيين كانوا من جهتهم يعرقلون ويؤخرون دخول السفن الأمريكية إلى ميناء تولون الفرنسي لإصلاح أعطابها، وعند دخولها كانوا يتأخرون في إصلاحها(42).

فشل الحصار الأول لم يضعف من عزيمة الأمريكيين وإصرارهم على ضرب طرابلس، فمع بداية سنة 1802م بدأت الأمور تتغير وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تهيئ لضربة ثانية، خاصة بعد إبداء بعض الدول الأوروبية استعدادها للتعاون معها، كالسويد التي عرض قائد بحريتها على ريتشالد ديل وهو في ميناء تولون التحالف لضرب إيالة طرابلس، وقد تعمق هذا الشعور كما تعمق عزم الأمريكيين على استعمال القوة، عندما اشترى السلطان المغربي المولى "سليمان" سفينة ليبية كانت محتجزة في جبل طارق، وطلب جوازاً لها للتوجه إلى طنجة، ثم الذهاب إلى طرابلس، وهو ما جعل قائد السفن الأمريكية يطلب من القنصل الأمريكي بالمغرب أن يقنع السلطان بالبقاء في سلم مع بلاده(43).

من الجانب الليبي فإن الحصار على قدر محدوديته أدخل طرابلس في مشاكل عدة، وكانت له مضاعفات من بينها النقص في الحبوب وانتشار الخوف والبلبلة بين السكان، وهو ما جعل الباشا يكاتب باقي بلدان شمال إفريقيا، من أجل تكوين كنفدرالية لمواجهة الأمريكيين الذين أصبحت أعمالهم تهدد مؤسسة الغزو البحري التي مارسوها منذ قرون، ومن الجانب الأمريكي

على الرغم من الجهود التي بذلها القائد ديل- Dale من أجل إضعاف قدرة طرابلس على المقاومة، فقد بقي متردداً في إعلان الحرب عليها [44].

كانت حملة ديل مخيبة لآمال القناصل الأمريكان في شمال أفريقيا، فلم تنجح في إنزال العقوبة القاسية بأيالة طرابلس الغرب، وإرغامها على قبول السلام بقوة السلاح، وقد برر الكوميدور ديل فشله بقوله: ( إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد الاستمرار في الحرب فلابد من إحكام الحصار على ميناء طرابلس، وفي ذلك تحتاج إلى فرقاطتين وسكوتتين، إضافية، كما يرابط قسم أمام الميناء ويظل القسم الآخر يتجول على مقربة منه)[45]، في حين كان ديل يستعد لمغادرة المتوسط كتب ايتون إلى حكومته في واشنطن يصف أحوال طرابلس الداخلية بناء على معلومات تحصل عليها من القنصل الدانمركي، واقترح على حكومته إرسال حملة جديدة يقودها بنفسه، طالباً تزويدها بـــ200 جندي وبأربع سفن حربية مقترحاً عليها استغلال الصراع الداخلي الذي نشأ بين الإخوان القرمانلي لتجربة حملة برية على ليبيا، بدعوى مساعدة "أحمد القرمانلي" الذي طرده أخوه "يوسف باشا" بعد مقتل أخ ثالث لهم، وجلوس يوسف القرمانلي على كرسي الحكم،[46] ويبدو أن هذه المقترحات هي التي شجعت الأمريكيين على إعلان الحرب رسمياً على طرابلس في 18 فبراير 1802، وتم تفويض الرئيس "جيفرسون" إعداد وتجهيز بوارج حربية وإرسالها إلى البحر المتوسط، واختار لقيادتها بالإضافة إلى بقية الأسطول الموجود هناك سابقاً فالنتين ريتشارد موريس، والذي انطلق صوب ووجهته في سنة 1802م، أي بعد صدور قانون حماية

التجارة الأمريكية من خطر الطرادات الطرابلسية في 6 فبراير 1802م[47]، حيث وجد سلطان مراكش في ثورة جامحة ضد الحكومة الأمريكية وصلت لحد إعلان الحرب بسبب رفض الأمريكيين السماح له بتصدير القمح إلى طرابلس، مما اضطره إلى تسوية هذه المشاكل التي لم تكن في الواقع مع مراكش فحسب بل حتى مع الجزائر وتونس، فاستطاع الأمريكيون تحييد سلطان الغرب في هذه الحرب وذلك بعد أسر سفينتين تابعتين لمراكش[48]، ولأجل تخليصهما اضطر المولى "سليمان" إلى تلبية مطالب قائد الأسطول الأمريكي والتي تلخصت في:

- تجديد اتفاقية 1786م من دون قيد أو شرط.
- إيقاف كل عمل عدواني ضد الولايات المتحدة الأمريكية
- الاعتراف بالحصار الأمريكي لطرابلس.
- تزويد السفن الأمريكية بما تحتاجه[49]، وغيرها من المطالب الأخرى،

واستغل الأمريكيون هذه التنازلات ليستعرضوا عضلاتهم بالمتوسط وبالمحيط، حيث بعث القائد بارون- Barron" الذي أصبح مكلفاً بالبعثة البحرية الأمريكية بالمتوسط بفرقاطتين هما Congress وessex لتقومان بجولة على المدن الساحلية المغربية قبل عودتهما إلى جبل طارق، لقد كانت التعليمات الموجهة إلى بريبل_ Preble قائد الحملة تتلخص في :

- إعادة الاعتبار للعلم الأمريكي في حوض المتوسط.
- الإبقاء على حصار طرابلس.

- نقل ساحة العمليات إلى شرق المتوسط عوض غربه، نظراً إلى الصراع الفرنسي البريطاني[50]، وللقيام بهذه التجهيزات كلف القائد Brain Bridge براين بريدج، بحصار طرابلس، لكن هذا القائد سيتم أسره مع 308 بحار أمريكي، في 31 أكتوبر سنة 1803م، على ظهر السفينة فيلادلفيا- Philadelphia وهو ما يعني بداية غير موفقة بالنسبة إلى الأسطول الأمريكي وهزيمة مخزية له، حتى قبل رؤيته للساحل الليبي[51]، وجه أسر هؤلاء البحارة مع سفينتهم ضربة موجعة للدبلوماسية الأمريكية في حوض المتوسط، ودفع الأمريكيين إلى الاستنجاد بكل الدول الأوروبية لمساندتها في تخليص السفينة وبحارتها، كما جعلت الأمريكيين ينتقلون من خطة الدفاع إلى الهجوم، وكان أول عمل قاموا به هو نسف السفينة وإحراقها، وهو ما أبعد شبحاً مخيفاً بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى وجودهم في حوض المتوسط، فعلى الرغم من أنهم أضاعوا إحدى أهم سفنهم فقد كانوا مدركين بأن المهم عسكرياً بالنسبة لهم هو أن لا تستعمل السفينة ضدهم[52].

بعد إحراق السفينة فيلادلفيا عمل الأمريكان على شراء السفن والأسلحة من دول المنطقة خاصة إيطاليا وصقلية، حيث جهزت بالأسلحة والمدافع، كما قرروا استعمال أحمد القرمانلي الذي فر إلى مصر في حملتهم البرية على إيالة طرابلس [53].

**الحملة البرية على ليبيا4 ديسمبر واحتلال درنة 1805م :**

انطلقت الحملة من الإسكندرية في الرابع من ديسمبر لسنة 1804م بقيادة ايتون- Eaton وهي الأمنية التي طالما سعى إليها وانتظرها، وهي القيام

بعمل عسكري ضد طرابلس، وقد بدأت العمليات بتحديد وجود أحمد القرمانلي في مصر، التي كانت تعيش في حالة من الفوضى بعد مغادرة الفرنسيين ودخول الانجليز إليها، وتعيين خورشيد باشا والياً عليها، ذكر القنصل ايتون- Eaton في مذكراته أن الحملة مولها إنجليزيان، أما الفرنسيون فقد ذكر أنهم كانوا ضدها عادين الأمريكيين جواسيس ويرفضون التعاون معهم، كما أن "خورشيد باشا" ساهم من جهته في إنجاح الاستعدادات للحملة، وذلك بمساعدته لأحمد القرمانلي بالتنقل من مصر إلى درنة[54]*.

جند قاد الحملة أكثر من 500 رجل عسكر بهم غرب الحدود المصرية في مكان يعرف بصومعة العرب، وقد كان يعمل بتنسيق مع الكمودور بارون- Barron قائد البحرية الأمريكية، وذلك لمحاصرة إيالة طرابلس من البر والبحر، وتعهد أحمد القرمانلي بأن يؤدي تعويضات الحملة من الإتاوات التي تقدمها السويد، والدانمرك، وهولندا، كما تعهد بمنح الولايات المتحدة شرط الدولة ذات الامتياز، وضمان سلم دائم معها، وفي حالة قيام حرب بينهما يعامل الأسرى كأسرى حرب، كما أن القنصلية الأمريكية ستكون ملجآ لمن اعتصم بها، عدا من ارتكب جريمة قتل أو جريمة خيانة، وفي شرط سري التزم أحمد القرمانلي بتقديم أخيه يوسف باشا و مراد رايس كرهينة للولايات المتحدة الأمريكية لضمان ما تعهد به[55].

وتكون جيش حملة احتلال درنة من كل مرتزق صادف ايتون في طريقه كما جند قطاع الطرق، ويذكر أنه اشترى الإبل من أحد شيوخ الأعراب، وقدر عدد المجندين ب500 شخص من بينهم 10 أمريكيين يتقدمهم ايتون

قائد الحملة، وقد وصف الأخير الأحداث التي تعرض لها في حملته الصحراوية هذه، كيف كان المرتزقة يبادلون الأزرار الملونة باللحم والدجاج مع الأعراب، كما تحدث عن المشاكل التي عانوا منها، فيما يتعلق بالنقص في الماء والمؤن والتمرد الذي قام به بعض المرتزقة داخل المعسكر[56].

كان هدف الحملة هو السيطرة على درنة، ثم بنغازي، وصولاً إلى طرابلس من جهة البر، في الوقت الذي كانت فيه ثلاث سفن أمريكية مرابطة بالبحر، تراقب وتستعد للهجوم، وسقطت مدينة درنة التي رفع عليها العلم الأمريكي في يوم 17 أبريل 1805م، بيد الغزاة الذين شرعوا في الاستعداد لغزو طرابلس، وفي 29 من الشهر نفسه بدأت المعارك البحرية بموازاة مع الحملة البرية[57].

وقد شكلت هذه الحادثة أول حالة استعمارية أمريكية في الساحل الجنوبي من حوض البحر المتوسط، كما أن اشتراك القوات المسلحة الأمريكية في هذه الحملة مؤرخة في الأسطر الأولى من نشيد مشاة البحرية الأمريكية ((من قاعات منتزوما إلى شواطئ طرابلس نخوض معارك بلادنا، في الجو والبر والبحر، نحارب لأجل الحق والحرية أولا، ونذود عن شرفنا الرفيع....))[58].

وقد جاء في مذكرات قائد الحملة وصفاً دقيقاً للمعارك كما جاء فيها بأن سقوط طرابلس والانتصار على حاكمها، سيحقق للولايات المتحدة ما لم يتحقق لأي دولة أخرى في حوض المتوسط، كما نجده يرفض الفكرة التي اقترحها عليه قائد الأسطول وتتعلق بفتح مفاوضات مع يوسف القرمانلي

مشيراً إلى أن بضع دولارات ستفتح أبواب طرابلس للأمريكيين، ومع ذلك فقد فضل قائد الأسطول بتنسيق مع القنصل العام بالجزائر توقيع سلم مع الباشا، عوض الاستمرار في الحرب، حيث أخبر ايتون– Eaton في 11 من شهر يونيو 1805م بذلك، كما أقر بضرورة إخلائه لدرنة، حيث تم الاتفاق مع "يوسف باشا" على إنهاء الحرب مقابل تقديم 60.000 دولار كفدية لأسرى السفينة فيلادلفيا، وتتمتع الولايات المتحدة بشرط الدولة ذات الامتياز مع عدم تقديم الإتاوة في المستقبل، وهو ما كانت تريده وتسعى إليه[59].

- **تداعيات التدخل العسكري واحتلال درنة:**

كان لحملة درنة دورها في إرغام "يوسف القرمانلي" على توقيع الاتفاقية الأمريكية الليبية من دون قيد أو شرط، وبامتناعه عن حرب الأمريكيين مستقبلاً، [60]كما جعلت الأمريكيين يدركون بأن التفاوض مع الحكام أضمن للعلاقة بينهم وبين حكام هذه الدول، فالولايات المتحدة عندما قررت استعمال "أحمد القرمانلي" كأداة لإخضاع طرابلس بخلق متاعب لحاكمها، لم تكن تهدف إلى القيام بحملة بدلاً عنه، فكل ما كانت تعنيه بالمساعدة هو تقديم بضع دولارات "لأحمد بك" لمساعدته والاستفادة من خبرته، لكن "ايثون– Eaton" لم يكن يدرك هدف حكومة بلاده إذ ذهب إلى أبعد من ذلك، تجنيده لحملة برية عبر الصحراء. ومع ذلك يمكن القول :إن تأثير الحملة لم يبق محصوراً في الحدود الليبية، بل تعداها إلى باقي بلدان الشمال الإفريقي، خاصة تونس والتي خوفاً من المصير نفسه قررت إرسال "سليمان المليلي" سنة 1807 كسفير عنها إلى الولايات المتحدة، لمناقشة وحل كل المشاكل

العالقة بين البلدين وقد حمل معه أربعة خيول هدية إلى الرئيس الأمريكي، وكان القنصل الأمريكي الذي قاد الحملة من بين المستقبلين للسفير التونسي بعدما رحل بدوره عن تونس(61)، وأصبح هو ومجموعته يوصفون في الولايات المتحدة بالمجموعة الإسبارطية، التي عرفت باسم أمريكا في الأماكن التي كان اسمها مجهولاً بها(62).

لقد استطاع Eaton ايتون بفضل هذه الحملة إيصال فكرته المتعلقة بخلق ودعم قوة أمريكية في المتوسط إلى أعلى مستويات السلطة في الولايات المتحدة (الرئيس والكونغرس )، كما أن أخبار توظيف الصراع الداخلي في ليبيا و أحمد القرمانلي في الحملة أصبح من المواضيع المستغلة في الحملات الانتخابية الأمريكية، خاصة من طرف الفيدراليين المعارضين لجيفرسون وأنصاره الديمقراطيين(63).

كان Eaton ايتون كقنصل بتونس وبحملته على درنة من أهم الأعمال التي لم تستطيع الأجيال الأخرى تحقيقها، لقد استطاع أن يرى بوضوح أكثر من معاصريه فوائد سياسة القوة من أجل تحقيق النجاح، وهو المبدأ الذي اعتمدته الولايات المتحدة الأمريكية منذ ذلك الحين مع بلدان شمال أفريقيا ومع غيرها من بلدان العالم إلى الآن.

كما إن البحرية الأمريكية وضعت أساسا من أسس التعامل الدولي في المنطقة، ألا وهو السياسة الهجومية، ولتصبح سياسة القهر والقوة هي القاعدة في التعامل، والسلم هو الاستثناء .

ويمكن القول: أن حملة درنة قد كشفت ومنذ وقت مبكر عن سمة من السمات البارزة في السياسة الخارجية الأمريكية إلى الآن، وهي عدم الوفاء بالوعود عندما تصبح مخالفة ومتعارضة مع مصلحتها، كما حدث عندما تنكرت "لأحمد القرمانلي" الذي زج به ايتون- Eaton في مغامرة غير مضمونة العواقب، ثم تركه لقدره مع "يوسف باشا" الذي عينه في البداية حاكما على درنة، ثم طرده إلى مصر ليموت هناك بعد سنة 1810م.

**الخلاصة :**

**وتخلص الدراسة لبعض الاستنتاجات والتي منها :**

كان للدافع الاقتصادي وللمصالح التجارية، الأثر البالغ في التواجد الأمريكي في منطقة المتوسط، واستطاعت الولايات المتحدة أن تجد لها مكان ونفوذ في هذه المنطقة، على الرغم مما تكبدته من خسائر، ومدفوعات، ومصاريف .

وضع الحضور الأمريكي في الحوض المتوسطي منذ البداية معالم الإستراتيجية الأمريكية المعتمدة على سياسة الضربات الاستباقية لفرض الشروط الأمريكية على ولايات الشمال الإفريقي.

أدى ضعف الموسسة البحرية لبلدان المغرب إلى تناقص النشاط البحري، وأدى بالمقابل إلى تنامي القوة البحرية المناهضة، ومنها القوة الأمريكية .

إضافة إلى ذلك فإن التوتر الداخلي والصراعات الأسرية على السلطة، كان مدعاة للتدخلات الخارجية، واستغلالها لتحقيق مصالحها .

## الهوامش

(1) جمال محمد حجر، دراسات في التاريخ الأمريكي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995م، ص65 ، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بداية الوجود الأمريكي في حوض البحر المتوسط، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة بن سعود، العدد السادس، الرياض، 1982، ص307.

(2) محمد ناصر، جوهر التدخل الأمريكي في العالم الإسلامي ،مجلة أقلام ثقافية ،www.aklaam>net\aqlam\prit.php?id=2311

(3) محمد بنهاشم، العلاقات المغربية الأمريكية، دراسة في التمثيل الدبلوماسي الأمريكي بالمغرب، 1786-1912، دار أبي رقراق الرباط، 2009، ص32.

(4) تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن تجارتها في البحر المتوسط بتاريخ 30 ديسمبر 1790م نقلاً عن كتاب منصور عمر الشتيوي، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، بيروت، 1970م، ص30-35.

* ولد في طرابلس الغرب وهو أحد الشخصيات الليبية الأكثر انفتاحا على العالم في القرن الثامن عشر ، شغل منصب سفير غير مقيم في عدة دول أوروبية مثل البندقية وجنوا والسويد والدانمارك والنمسا وفرنسا وانجلترا وزار أغلب دول أوروبا كان دبلوماسيا محنكا وأدار العلاقات الدولية مع الآيالة الطرابلسية في العهد القرمانلي ببراعة بالإضافة إلى

إنه كان يتقن العديد من اللغات الأجنبية. ويعتبر شخصية تحظى بسمعة قوية في أوروبا لدرجة عينه إمبراطور النمسا والمجر قنصلا له في طرابلس وهو كان مبعوث طرابلس ليمثلها في فيينا فهذه الحادثة لم تحدث في تاريخ الدبلوماسية الدولية أن يمثل شخص سفير الدولتين في نفس الوقت توفي بمراكش وحزنت مدينة طرابلس كلها بفقيدها ولبست الحداد وحزن عليه القناصل الأجانب بشده ودفن في طرابلس بتاريخ 22نوفمبر 1792م.محمد مصطفى بازامة ، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ،بنغازي ، د ت ص 143.

(5) عبد العزيز عبد الغني، البدايات الأولى، مرجع سابق ، ص305.

(6) Luella.J.Hall، The United States and Marocco، (1776-1956) Th Scarecrow press، the Metucheri، new jersey، 1971، p45.

(7) هيفاء معلوف الإمام، العلاقات الأمريكية الشمال إفريقية في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، عدد15-16، يوليو، 1979، ص65.

* ولد الأمير محمد بن عبد الله بمكناس سنة 1134هـ/ 1722م، عينه والده خليفة له في مراكش ولم يتجاوز الخامسة والعشرين، وبعد وفاة والده تلقى بيعة أهل المغرب في 7 نوفمبر 1757م، وتوفي إثر مرض في 11 إبريل 1790م، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار

المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954-1956، ج8، ص65.

(8) دي. و. أروين، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1769-1816م)، ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص2، الجزائر، ص50.

(9) Lrwin، The Diploatic Relations of The United States with the Barbary powers 1776-1816، New York، Russell and Ressell، 1970، p25-26.

(10) Adams. Ch. F. The work of john Adams Second President of united states، official، leters، messages and public papers، boston، 1852، V7، P303.

* حدثت هذه المعاهدة بخمسين سنة ولكنها لم تعمر أكثر من خمس سنوات أب بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله ولزم الأمر التصديق عليها من قبل خلفه مولاي إسماعيل، وتولى القنصل الأمريكي بجبل طارق السيد سيمون إجراء المفاوضات بشأنها ونقل بعدها إلى طنجة، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2009، ص117.

(11) ابن تاويت، أول معاهدة صداقة بين المغرب وأمريكا، مجلة تطوان، ع3-4، سنة 1958-1959، ص211،210.

(12)النص العربي لاتفاقية السلم والصداقة بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية سنة 1786،الأرشيف الوطني بمكتبة الكونغرس الأمريكي .

(13) محمد بنهاشم ،مرجع سابق ،ص 43.

(14) عبد العزيز عبد الغني، مرجع سابق، ص223

* وقام الرئيس جورج واشنطن بالإشراف على تنفيذ مشروع الأسطول فكانت نواته تتألف من ست سفن وسمي بالأسطول السادس وظل مرابطاً في البحر المتوسط ووظيفته حماية السفن التجارية الأمريكية وتحرير الأسرى وحمل هذا الأسطول رقم ستة ويسمى بالأسطول السادس إلى الآن، هيفاء معلوف، مرجع سابق، ص70.

(15) مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر(1816-1821م)، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص129.

(16). جون وولف ، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 418-419.

(17) عن الاتفاقية انظر؛ Munter Miller،OP، Cit، documents، 1-40 ، عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ص275.

(18) هيفاء معلوف، مرجع سابق، ص72-71.

(19) لويس رايت،وجوليا ماكليود الحملات الأمريكية على شمال إفريفيا في القرن الثامن عشر (1779-1805م)تعريب محمد البعلبكي ،دارف المحدودة ،لندن ،1985م ، ص53.

(20) كولافولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ملحق الوثائق، ص219-226 ، ايرون، مصدر سابق، ص126.

(21) لويس رايت، مصدر سابق، ص54.

(22) هيفاء معلوف، مرجع سابق، ص 72 ، محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص57.

(23) ايرون، مرجع سابق، ص11؛ لويس رايت، مصدر سابق، ص53.

(24) P45،Alain Nevins comager histoire des Etates unis

(25) محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص70.

(26) لويس وايت، مصدر سابق، ص50-61.

(27) محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص73.

(28) محمود على عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى، ليبيا، جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعة، ص 229.

* أو شركاء بوسطن، والتي تشكلت من التجار الأمريكان وبالتنسيق مع أرباب الأعمال الذين جنوا أرباحاً وفيرة من تجارة الأفيون، وخاصة بعد تعيين أحد أعضائها وزيراً للأسطول البحري ويدعى "كروان شيلد". وليد محمود أحمد ،قبرص في الإستراتيجية الأمريكية . مجلة دراسات إقليمية ،

(29) لويس رايت ،مصدر سابق ،ص 55.

(30) محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى، ليبيا، جامعة دمشق، مديرية الكتب الجامعة، ص229.

(31) جلين تكر، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي، ترجمة عمر الديراوي ابوحجلة ، دار ف المحدودة، لندن، 1983، ص165-166.

(32) هيفاء معلوف، مرجع سابق، ص74.

(33) لويس رايت، مصدر سابق، ص71-72.

(34) محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص75.

(35) لويس رايت، مصدر سابق، ص83.، محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص75.

(36) Luella، The United States and Morocco، PP.61-62

(37) وثائق الخارجية الأمريكية، خطاب القنصل الأمريكي جيمس كاتكارت في طرابلس إلى وزارة الخارجية الأمريكية، بتاريخ 16 مايو سنة 1801م، 28 Rolls of Microcopy.

(38)بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991، ص178-179

(39) إيرون، العلاقات الدبلوماسية، مرجع سابق، ص140.

(40) تكر ،معارك ليبيا ،مصدر سابق ، ص 225.

(41) امحمد الشتيوي، مرجع سابق، خطاب ديل بتاريخ (18-8-1801م)، ص143-144.، إمحمد الطويل، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2001، ص233.

(42) الشتيوي، حرب القرصنة، مرجع سابق، ص155.

(43) محمد بنهاشم، مرجع سابق، ص78.

(44) بروشين، مرجع سابق، ص181، محمد ألمنوني، ثلاث رسائل من المغرب، مجلة دعوة الحق، عدد 243، سنة 1984، ص80.

(45) تكر، مصدر سابق، ص233.

(46) الشتيوي، حرب القرصنة، مصدر سابق ص155 ، هيفاء معلوف، العلاقات الأمريكية الشمال إفريقية، مرجع سابق، ص63-78.

(47) جون رايت، جوليا ماكليود، الحملات الأمريكية على شمال إفريقيا، مصدر سابق، ص 179.

(48) تكر، مصدر سابق، ص306-308.

(49) محمد بنهاشم، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص82.

(50) ايرون، مصدر سابق، ص190.

(51) عن أسر السفينة انظر: لويس رايت، مصدر سابق، ص230؛ شارل فير، الحوليات الليبية منذ القدم حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: عبد الكريم الوافي، المشأة العامة لنشر والتوزيع، طرابلس، 1983، ص561، ردولف ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة

القرمانلي،ترجمة: طه فوزي القاهرة، معهد الدراسات العربية، 1961، ص158-159.

(52) جوناثان كوردي ، يوميات الطبيب كوردي في قلعة طرابلس الغرب 1803-1805م تعريب عبد الكريم شويرب ،مركز جهاد الليبيين ،طرابلس ،ليبيا ،1982م ، ص45.

(53) عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، 1715-1835، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1966م، ص108-110، امحمد الطويل، مرجع سابق، ص241.

(54) الشتيوي، حرب القرصنة، مرجع سابق، رسالة بتعليمات سنوية من وزير الخارجية الأمريكي إلى الضابط هيل، سبتمبر 1219هـ/1804م، ص209

* مدينة تقع في الجزء الشرقي من ليبيا وهي مدينة ساحلية ذات موقع استراتيجي واقتصادي وتعد المركز الثاني بعد مدينة بنغازي.

(55) تكر، معارك طرابلس، مصدر سابق، ص543 ، الشتيوي، حرب القرصنة، مرجع سابق، معاهدة صاحب السمو حامد القرمانلي والولايات المتحدة، ص228-230، ايرون، العلاقات الدبلوماسية، مرجع سابق، ص206

(56) عن سير الحملة انظر: ايرون، العلاقات الدبلوماسية، مصدر سابق، ص207؛ تكر، معارك طرابلس، مرجع سابق ، ص609-610.

(57) عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانيلة، مرجع سابق، ص113.

(58) محمد ناصر ،مرجع سابق .

(59) عن بنود المعاهدة انظر: ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ملحق الوثائق،ص44-48.

(60) مصطفى عبد الله بعبو، دراسات في التاريخ الليبي،مرجع سابق ، ص161-162.

(61) مراسلات دبلوماسية رسالة من رودجرز إلى حمود باشا، في 11 أغسطس 1805م. 15 جمادي الأول 1220هـ. ملف 680. صندوق رقم252، السلسلة التاريخية، الأرشيف الوطني التونسي ، لويس رايت، جوليا ماكليود، مصدر سابق ، ص315-317.

(62) Louis B. Wright. The Firt Americans. P189

(63) محمد شاكر مشعل، الشمال الإفريقي والعثمانيون "ليبيا" القرمانليون وشخصية ليبيا الدولية، 1711-1825م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986، ص138